

الخطاب الاستشراقي في النص الشعري الجزائري - الإلياذة الجزائرية بين التأطير والتطوير -

١. محمد الأمين خلافي
جامعة أدرار

بسط المعال

١. اللازمة (بلادي بلادي، الأمان، الأمان) خطاب ثاقب البصيرة
يشي بحكمة وخبرة يصدقها الواقع اليوم.
في زمن القحط والردة التاريخية ذلك لأن الخلف أضاع صلته
الحقيقية بالسلف الثوري الجزائري واتبع شهوات الهوى في أضرب
عديدة من الحياة مثل:

قراءة التاريخ دون تربية تاريخية تترجم في سلوك الناشئة كمنطلق
أساس لبناء المجتمع التاريخي الذي لا ينسلخ عن صانعي الوطن الحر،
فأني لهذا الخلف بحرية هذا الوطن لولا مشيئة الله وإيمان هؤلاء البررة.

انسلاخ كثير من الجزائريين عن ممارسة الأبجديات التاريخية والوطنية
انسلاخا من أجل الانسلاخ لا لحجة حكيمة، وإن ادعى البعض

تعلات واهية منها أن العالم المعاصر بإنجازاته العملاقة قد تجاوز مثل هذه الترهات والتقليديات القديمة في نظرهم، ومن أشهر صور هذه الأبجديات التي باتت مغمورة في ذاكرة التناسي والعبثية والغفلة تحية العلم / التعامل الصحيح مع إحياء الذكريات الوطنية/ حرمة الشهيد /التواصل بين أيام الثورة التحريرية وما يشتق منها من دروس كقدوة يتمثلها الناشئة، وهم اليوم يواجهون حربا أخطر وأعمق وأفظع .

تعطيل التأثير والتأثر، حيث كان الوطنيون الأحرار من أبناء الجزائر عقوداً نموذجاً للتأثير في غيرهم ممن يحيط بهم من العالم في الوقت عينه صنعوا بطولاتهم الخالدة في الدنيا والآخرة لأنهم كانوا تلامذة صدقا خلصا لسلفهم من شهداء الحقيقة والأمة العربية والإسلامية...؛ ولهذا فالشاعر في هذا النص واحد من أولئك التلامذة النجباء المخضرمين وقد وعى حقيقة القدوة تأثيراً وتأثراً .

2. الاستلهام خطاب ثوري نبيل ونبيل متفقه بمرجعية إسلامية عربية عالمية مع روح للنصوص المعجزة وشواهد الفكر العالمي والثقافة التاريخية الحسنة:

*تكرار لفظ بلادي بلادي، لها وقع وإيقاع؛ وقع الوطن ومحبه
وهذا من صميم الشريعة الإسلامية الغراء كأقدس نموذج معجز في
تفقيه العالمين معاني الوطن وحبه وهو من الإيمان؛ ومن أجل ذلك بات
لزاما على عقلاء الوطن إعادة النظر الحصيف في طرق التوصيل
التربوي وتوطيد أركان التربية الدينية والتاريخية واللغوية ...، وقس
على ذلك من معجم النص الزكريائي هذا الذي يحيل إلى مرجعية
لغوية ثقافية أصيلة كما الأمر في أثر الإيقاع الفعال حيث إن هذا
الترداد له تفعيل في النفوس ونجوى مقصدية تشي بنظر الشاعر
الثاقب، وهامو حال البلاد مبكاة مجسدة تحق ما ذهب إليه الشاعر
وكأنه كان يعلم يقينا ما سوف تؤول إليه الجزائر من اللأمان إذا
عطلت محبة الوطن وأسبابها ...

أضف إلى ذلك لفظ الجلال كرمز يدل على أن المحمول الثوري
الجزائري المبارك من عطاء الوحي كجهاد مشروع يقلع الظلم وألوان
الحيف / وسحر البيان قريب من قريب ففيه تشريف لوزن الحدث
الثوري نفسه / وهيام الناس بالجزائر وثورتها حتى الطغاة رمز لعالمية
الثورة المباركة وشاهد يقر به العدو كأننا بالتاريخ الثوري مدرسة

ربت دولا وعلمتها معاني الحرية وكيف تفتك والكرامة وكيف تحقق
وما الثورات التحريرية الحديثة في إفريقيا وآسيا وأمريكا التي نالت
حريتها قبل الجزائر إلا برهان جلي على فداية الجزائر وثورتها العنيدة
/ولفظ الصولجان تعبير عن أمر الثورة تلك وقد دوخت الاحتلال فتاه
في حيرة وخبل صيراه يتهاوى وتذهب ريمه.

اقتباس من الآية القرآنية: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، تمسح
بالآي الكريم برهان الشعرية الفذة الموصولة بالمعجزة قصد إضفاء
الصدق والشرعية على الحدث اللاحق ومطابقته للحدث السابق.

مهارة الشاعر في استلهاام التاريخ واستيعابه من شتى مصادره
جزائريا ومغاربيا وإفريقيا وعربيا وإسلاميا وعالميا...؛ وههنا وقفة
مخصوصة مع الشاعر لأنه ذاك الشاعر الذي يرسخ عجيبة معرفية قلما
يتقنها عباقرة العالم وهي جمع الشاعر مفدي - رحمه الله - ثقافة
تاريخية واسعة وشعرا ممتازا مكينا مردهما إلى عبقرية الثورة الجزائرية
ذاتها فقد استوسعت دائرتي التاريخ والشعر معا.

3- استيساع النص الزكريائي لمساحة ثقافية وأخلاقية وسلوكية

منفتحة على الآخر وعلى البشرية.

لا جرم أن عالمية الإلياذة الجزائرية مؤهلة لأن تتبوأ مباء الكمال الفني والموضوعي وهي من الملاحم الحديثة المصطنعة التي أبرزت ما للشاعر من مكنة وتحنك يستقطب زحما تاريخيا وجغرافيا ليس من السهولة بمكان؛ لأنها إلياذة اصطنعت زمكانية بديعة تتدرج في نفس شعري فريد يستجوب تماهيات الزمن الزئبقي المخلد بطولات الجزائر ويدغدغ حنايا المكان القار الشاهد لأحرار الجزائر بالفرادة...؛ هاتيكم الملحمة التي أثبت إلا أن تختم بهذا المقطع الفصيل كآخر توقيع قمين بمنح هذا الوطن صورة استشرافية مشرقة صفية تليق بالتضحيات التي قدمت كقربان للوطن، وبيننا هي صورة تتلأأ نورا يتحدث بالنعمة المسداة على أهل الوطن فإذا هي الصورة العاتمة الدامية التي خشي الشاعر أن تلحق بالوطن زمنا ما ...

من أجل ذلك يحسن بالحكماء أن يستبحثوا السبل والوسائل والأدوات العلمية والروحية والمادية الجديرة باسترداد الثقة بحب الوطن؛ كالذي اختطه سلف الجزائريين زمن الخصب والرخاء ففازوا

بالأمن ورسخوا سبله ووسائله وأدواته ترسيخا حقيقيا وعلى بيئة من
الصدق والوثاقة العلمية والروحانية المتألقة في سماء الشعائرية
التوحيدية والمادية البسيطة التي قوي فعلها بالإيمان وخشية الله تعالى
والضمير النير ...

فإحكام تلك الأسس وتجسيد شرعتها فورا وفي ضوء المستجدات
العالمية مؤهل ممكن في البلوغ إلى بر الأمان الذي بكاه الشاعر يوما
دوئما شعور منه:

بلادي بلادي الأمان الأمان
..... بلادي بلادي الأمان الأمان.